آذار قد قضى على الربيع وهو ما يزال جنيناً في رحم الأرض. بل نصمد للحصار مهما طال، ونضحك لآذار مهما هدر وزمجر، واثقين من أنّ في هديره بشارة الانبعاث، وفي زمجرته أهزوجة الانطلاق؛ وأنّه لا بدّ من فجر يوم نستفيق فيه من رقدة الشتاء فإذا بآذار يحمل إلينا الربيع على راحتيه ويودّعنا قائلاً: «هاكم المولود الجديد!» وإذا بالسماء مرآة مجلوّة تتهادى الشمس من جانب فيها إلى جانب. وإذا بالثلوج تذوب شوقاً إلى البحر فتنهلّ من عيون الجبال دموعاً صافية باردة. وإذا العصافير تضرب الهواء بأجنحتها ثمّ تسكره بأغاريدها. وإذا البنفسج ينثر أحشاءه المعطرة على ضفاف الجداول، والأشجار تتورّم براعمها وتلتمع أفانينها. وإذا التراب وما فيه وما فوقه تحفّزٌ فانتفاضة فوثبة فنشوة. وإذا الجمود حركة، والجليد حرارة، والموت حياة، والكلّ تسبيحة علويّة تقذفها شفاه بلا عدّ، ويموج بها فضاء بغير حدّ.

★ ★ ★

لقد درج الناس على تقسيم السنة إلى أربعة فصول. ثمّ شبّهوا العمر بالسنة. فهم يتكلّمون عن ربيع العمر وصيفه وخريفه وشتائه. ولكلّ كائن من الكائنات عمر. بل لكلّ